العرب العُمانيون وتجارة العاج في شرق إفريقيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (1840 - 1890م / 1256 - 1308هـ)

بنيان سعود تركي

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الكويت

الملخص

تتناول هذه الدراسة جانباً مهماً من علاقة العرب العُمانيين بشرق إفريقيا، تلك العلاقة التي تعود إلى عصور موغلة في القدم، وارتبط استمرارها ارتباطاً وثيقاً باستمرار العلاقات التجارية بينها وبين المنطقة العربية، التي نتج عنها استقرار عناصر عربية هناك، وخاصة فيما يعرف الآن بالمنطقة الممتدة من الصومال حتى موزمبيق، فأقاموا فيها مراكز تجارية وإمارات محلية ساهمت في التواصل بين العرب وسكانها، ولم يقف تأثير العرب العُمانيين عند المجال الروحي والثقافي، بل تعداه إلى المجالين الاقتصادي والاجتماعي؛ حيث اتجهوا إلى المشاركة في توظيف ثروات شرق إفريقيا المتنوعة، وخاصة العاج، حتى أصبح من أهم السلع التجارية هناك في القرن التاسع عشر الميلادي. وقد كان للعرب العُمانيين دور عظيم في تجارة العاج بشرق إفريقيا في الفترة (1840–1890م/ 1256–1308هـ).

وتكشف هذه الدراسة عن إسهامات العرب العُمانيين في تجارة العاج الإفريقية والأبعاد الاجتماعية والاقتصادية لهذه التجارة، وما ترتب عليها من نتائج، كما تحاول الدراسة تتبع الطرق والمسالك التي سلكوها داخل القارة الإفريقية، وكذلك الوسائل والسبل التي استخدموها في عملية الانتشار تلك، التي سمحت لهم بإقامة علاقات تجارية مع القبائل الإفريقية وبروز شخصيات عربية عُمانية مؤثرة في هذه التجارة، كما ألقت الدراسة الضوء على دور الهنود في تمويل هذه التجارة، وبينت بروز دور الغرب الأوروبي فيها وأثره في تغيير الأوضاع بشرق إفريقيا، حيث كانت القوى الاستعمارية الغربية تبذل جهدها لفرض هيمنتها وحماية مصالحها للانفراد بخيرات تلك البلاد.

مقدمة

إذا كانت علاقة العرب بشرق إفريقيا تعود إلى عصور موغلة في القدم، فإن استمرارها ارتبط باستمرار العلاقات التجارية بينها وبين المنطقة العربية، التي نتج عنها استقرار عناصر عربية هناك، وتحديداً في المنطقة الممتدة من "رأس جردفون" شمالاً إلى "خليج دلجادو" جنوباً؛ (أي من المنطقة التي تشمل الآن الصومال حتى موزمبيق، والتي سماها العرب بساحل الزنج أو زنجبار)، التي أقاموا فيها مراكز تجارية، ودولاً وإمارات محلية ساهمت في التواصل والتقارب بين العرب وسكان ساحل شرق إفريقيا. وكان استقرار العرب بين ظهرانيهم ومصاهرتهم وراء ظهور عنصر خليط من السكان، عرف بأهل الساحل أو السواحليين، كما كان للغة العربية تأثيرها في لغة المنطقة، ومن ثم ظهور اللغة السواحلية، ولاسيما بعد انتشار الإسلام بشرق إفريقيا، لذا لا غرابة في أن تكون هذه المنطقة أحد المنافذ الرئيسية التي نقلت المؤثرات العربية والإسلامية إلى القارة الإفريقية بشكل عام، وشرق إفريقيا بشكل خاص.

والجدير بالذكر أن تأثير العرب في شرق إفريقيا لم يقف عند المجالين الروحي والثقافي، بل تعداهما إلى المجالين الاقتصادي والاجتماعي بعد أن اتجه العرب إلى المشاركة في توظيف ثرواتها المتنوعة، وبخاصة العاج الذي كان للعرب فضل في تتجيره، حتى أصبح من أهم السلع التجارية بشرق إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي.

هدف البحث

تسعى الدراسة إلى تسليط الضوء على دور العرب العُمانيين في تجارة العاج بشرق إفريقيا في الفترة (1840 - 1890م/ 1256-1308هـ) (وهي الفترة الواقعة بين استقرار السيد سعيد بن سلطان آل بوسعيد - سلطان مسقط (1806-1856م/ 1221-1273هـ) - في عام 1840م (1256هـ) بزنجبار "عاصمته الجديدة"، وإعلان الحماية البريطانية عليها عام 1890م (1308هـ) في عهد نجله السيد علي بن سعيد (1890-1893م/ 1308-1311هـ)، في محاولة للكشف عن

إسهامات العرب في تجارة العاج الإفريقية، والأبعاد الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لهذه التجارة، وما ترتب عليها من نتائج. كما تحاول الدراسة تتبع الطرق والمسالك التي سلكها العرب العُمانيون في التوغل داخل القارة الإفريقية، و الوسائل والسبل التي استخدموها في عملية التوغل، والتي سمحت لهم بإقامة علاقات تجارية حول العاج مع القبائل الإفريقية، ودور بعض الشخصيات العربية في هذه التجارة، وأهم مراكزها التجارية، وتسعى الدراسة أيضاً إلى تحديد دور الهنود في تمويل هذه التجارة، ودور الغرب الأوروبي فيها، وتأثير ذلك في أوضاع شرق إفريقيا.

العاج في تجارة العرب بشرق إفريقيا

تعتبر قارة إفريقيا واحدة من المناطق التي تكثر فيها الفيلة، التي تعد مصدراً مهماً للعاج الذي توفره أنيابها. والعاج تكوين صلب يكون الجزء الأساسي من أنياب الفيلة[1]، وندرة العاج تجعله من المواد الثمينة، ولاسيما بعد أن تعددت استخداماته، وبخاصة في صناعة التحف وأدوات الزينة ومقابض السيوف والخناجر، فضلاً عن استخدامه في الحرف اليدوية غالية الثمن. ويصنف العاج إلى درجات، لكل منها سعره. وتعد عملية تصنيف العاج أو تحديد درجته أو درجة جودته من العمليات المعقدة التي تحتاج إلى مهارة ودقة، ولها أهلها الذين يتميزون بمعرفة تفاصيلها، والمصنفون المعروفون بمناطق التعامل في العاج، ويعدون خبراء في هذا المجال، كما كان جلابة العاج يعرفون صنف العاج ونوعيته، فهناك الناعم شديد البياض وهناك الخشن. ويعد الناعم أعلى سعراً من الخشن لسهولة تشكيله وتصنيعه[2].

ويتميز العاج الإفريقي بمواصفات عدة تجعله الأفضل نوعية، والأكثر رواجاً في الأسواق الخارجية، وبخاصة أسواق الخليج العربي؛ لكونه أكثر نعومة من العاج الهندي، ولبياضه الشديد وتنوع ألوانه ما بين الأبيض والأصفر، والقرنفلي الضارب للصفرة[3].

وبازدياد استخدام العاج في القرن التاسع عشر الميلادي انتعشت تجارته،

وشارك فيها الكثير من الأفراد والجماعات المحلية الإفريقية، والشركات الإقليمية والعالمية.

والعرب العُمانيون كغيرهم من الجماعات التي كانت على اتصال بشرق إفريقيا عملوا في تجارة العاج، كما عملوا بالتجارة في غيره من سلع شرق إفريقيا استيراداً وتصديراً. وكان العاج من أهم السلع التي تاجروا فيها مع أهالي ساحل شرق إفريقيا، بعد أن أصبح العمل فيه يحقق أرباحاً ضخمة، والتي رأوا في السيطرة عليها سيطرة على اقتصاد المنطقة، وعلى وجه الخصوص اقتصاد زنجبار (المنطقة التي تشمل الآن الصومال حتى موزمبيق)[4].

ويعود اهتمام العرب العمانيين بتجارة العاج في شرق إفريقيا إلى ما قبل وصول الغرب الأوروبي إلى المياه الشرقية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي؛ حيث يشير المسعودي الجغرافي العربي في القرن العاشر الميلادي إلى أن العُمانيين كانوا يجلبون العاج من إفريقيا، ويقومون بشحنه بعد ذلك إلى الهند والصين[5]. ولعل هذا ما جعل عُمان تعد من الأسواق التي اشتهرت بجلب العاج وتصنيعه، وإن كانت مكانتها في تجارة العاج الإفريقي قد تأثرت بشكل واضح باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح وتغيير مسار تجارة شرق إفريقيا إلى أوروبا عبر الطريق الجديد، واتجاه التجار البرتغاليين إلى السيطرة على تجارة شرق إفريقيا بما فيها العاج، عندما اهتموا بتوفير الأقمشة والخرز والحديد لسكان الداخل مقابل الحصول على العاج والعنبر؛ مما أدى إلى فقدان العرب لمكانتهم التجارية المتميزة في شرق إفريقيا[6].

ولعل تأثر تجارة عُمان وبخاصة تجارة العاج مع شرق إفريقيا، في ظل الهيمنة البرتغالية على المياه الشرقية كان وراء تصدي حكام عُمان من اليعاربة (1624–1741م/ 1034–1154هـ) للنفوذ البرتغالي في الخليج العربي وشرق إفريقيا، بدءاً بمقاومتهم على يد مؤسس دولة اليعاربة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي (1624–1649م/ 1034–1059هـ) وخلفائه، بداية من سلطان بن سيف (1649–1680م/ 1059–1091هـ) الذي تمكن من طرد البرتغاليين من مسقط ومطرح، وانتهاءً بالإمام سيف بن سلطان (1692–1711م/ 1104–1123هـ) الذي

تتبع فلولهم في شرق إفريقيا، وضيق عليهم الخناق هناك، حتى استعاد اليعاربة السيطرة على المناطق التي كانت البرتغال تحتلها في الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، وعلى رأسها قلعة المسيح في ممباسا (1698م/ 1110هـ)؛ مما أدى إلى انحسار النفوذ البرتغالي بشرق إفريقيا، واستعادة العرب العُمانيين لمكانتهم التجارية هناك، بما فيها تجارة العاج[7].

ومع ازدياد الطلب على العاج في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، وارتفاع أسعاره في الأسواق العالمية، اتجه الكثير من التجار العرب العُمانيين والهنود والأوروبيين والأمريكيين إلى المشاركة في تجارة العاج بشرق إفريقيا، بشكل أثر في زيادة صادراته للخارج[8].

وقد ارتبط ازدياد الطلب على العاج، وارتفاع أسعاره في السوق العالمية، بدخوله في الكثير من الصناعات، من أبرزها صناعة التحف، والتماثيل، والآلات الموسيقية، والحلي، واتجاه عدة بلدان أوروبية - مثل ألمانيا وهولندا وبريطانيا - إلى إقامة مراكز متخصصة في معالجة العاج، واتجاه العديد من السفن التي كانت تحمل بضائع أوروبية، إلى سواحل شرق إفريقيا لتسويق هذه السلع، مقابل العاج وغيره من المنتجات المحلية؛ مما أدى إلى ارتفاع الطلب على العاج بشرق إفريقيا، في القرن التاسع عشر الميلادي[9].

وكان ازدياد الطلب على العاج في الهند وأمريكا وأوروبا، وراء ارتفاع أسعاره بمناطق إنتاجه بإفريقيا، بدرجة دفعت قبائلها لإدراك أهميته التجارية، حتى إن سعر فارسيلا العاج (وحدة وزن تقدر بخمسة وثلاثين رطلاً) (والرطل وحدة وزن شائعة في نظام الأوزان والمقاييس) تضاعف في فترة الدراسة؛ فبعد أن كان سعرها في عام 1840م (1256هـ) ما بين 29 و 40 دولار ماريا تريزا (دولار ماريا تريزا عملة فضية نمساوية انتشرت في شرق إفريقيا وغيرها من المناطق، ويطلق عليها تسميات عدة منها الكراون النمساوي والقرش والريال، وعرفت في زنجبار بالقرش الأسود، ويزن ما يقارب 8 و27 غراماً)،ارتفع سعرها في عام 1875م (1292هـ) إلى 80 دولاراً (1292هـ)، وفي دراسة ارتفع سعرها في عام 1875م (1292هـ) حتى بلغ 60 روبية (والروبية عملة هندية اشتهرت في شرق

إفريقيا، ودولار ماريا تريزا يعادل بين 2,10– 2,23 روبية هندية (فضة)، وهناك إحصاء آخر أشار إلى أن سعر فارسيلا العاج من النوعية الجيدة في زنجبار تضاعف ثلاث مرات في فترة الدراسة؛ فبعد أن كان في (1850م/ 1267هـ) يقدر بنحو 600 جنيه إسترليني ارتفع إلى 2100 جنيه إسترليني في عام 1890 (1308هـ)؛ (الجنيه الإسترليني يعادل ما قيمته 4,75 دولار ماريا تريزا) (انظر ملحق 1)[10].

وقد أدى ازدياد الطلب على العاج إلى ارتفاع صادراته، حتى إن الكميات المصدرة منه في الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي بلغت 700,000 رطل ،بقيمة تعادل 450 ألف جنيه إسترليني[11]. وفي عام 1859م (1276هـ) قدر القنصل البريطاني في زنجبار الجنرال كريستفر رجبي Christopher Rigby الصادرات بنحو 488,600 رطل، بقيمة نقدية تعادل 146,666 جنيهاً إسترلينياً[12]. وكان ما يعادل ثلاثة أرباع كميات العاج المصدرة تذهب للولايات المتحدة[13]. وفي الفترة (1863–1864م/ 1280–1281هـ) تم تصدير عاج من زنجبار بما قيمته 930,054 دولار ماريا تريزا، كان نصيب الهند منه ما قيمته 532,500 دولار ماريا تريزا، والولايات المتحدة الأمريكية ما قيمته 227 ألف دولار ماريا تريزا[14].

ولعل ازدياد الطلب على العاج وارتفاع أسعاره كانا وراء امتداد عمليات السعي إلى الداخل، حتى وصل تجار العاج العرب إلى حوض نهر الكنغو (زائير سابقاً) في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي[15].

وكان التجار العرب المغامرون، الذين يسعون إلى العاج بالداخل، يحدوهم الأمل في الحصول عليه مباشرة دون التعامل مع القبائل الإفريقية بشكل يحقق لهم مكاسب مالية وفيرة على الرغم من المخاطر الكبيرة التي تترتب على توغلهم داخل القارة. والملاحظ أن بعض أبناء قبائل أونيامويزي Unyamwezi، والياو Yao (يتكون سكان تنجانيقا Tanganikya (جمهورية تنزانيا الاتحادية) من أكثر من مائة وعشرين قبيلة، منها أونيامويزي والياو وماكينزي والسكوما

ومالوا)، ممن احتكوا بالتجار العرب اعتنقوا الدين الإسلامي، ونشروا بدورهم الإسلام في الداخل[16].

وبازدياد نفوذ عُمان في شرق إفريقيا، مع وصول السيد سعيد بن سلطان إلى السلطة في مسقط (1806–1856م/ 1221–1273هـ)، ازدادت شراكة التجار العرب في تجارة العاج بشرق إفريقيا، ولاسيما بعد أن اتجه السيد سعيد بن سلطان إلى الاستقرار بعاصمته الجديدة في زنجبار، وقيامه بتوفير الحماية والأمن لها ولتوابعها لقناعته بأن التجارة لا تستقيم مع الخوف وغياب الأمن، لهذا ذهب المؤرخ الإنجليزي كوبلاند Coupland إلى أن سعيد بن سلطان "إذا نفخ على المزمار في زنجبار، رقص الناس على أنغامه بالبحيرات"[17]، وهو تعبير يوضح نمو وتطور علاقة الساحل والداخل والوصول إلى العمق الداخلي، والمقصود بالبحيرات هنا البحيرات الكبرى الإفريقية، التي من أهمها بحيرة تنجانيقيا Tanganikya، وبحيرة فكتوريا Victoria وبحيرة ملاوي Malawi (نياسا سابقاً).

واهتمام السيد سعيد بن سلطان بتوفير الأمن والاستقرار في زنجبار، كان من أجل حماية التجارة، وبخاصة تجارة العاج، حتى إنه ذكر عن نفسه أنه أمير تاجر، وتهمه التجارة أكثر من السياسة، كما وضع نظاماً اقتصادياً حدد فيه الرسوم والضرائب، وأنواع التجارة، وأعطى العرب الأراضي، في حين حدد أنشطة الهنود في السمسرة، وأعمال الوساطة التجارية. أما الأفارقة الذين كانوا يشكلون السواد الأعظم من السكان، فقد حولهم إلى أيدٍ عاملة لخدمة العرب والهنود، واستطاع أن يوسع أملاكه في الداخل والساحل لتشمل رأس جردفون شمالاً إلى خليج دلجادو جنوباً (أي المنطقة الممتدة الآن من الصومال إلى موزمبيق)، وإن ظلت سلطته اسمية على أغلب تلك المناطق، لكنه ربطها بنظامه الاقتصادي[18].

وفي إطار اهتمام السيد سعيد بإنعاش التجارة، شجع التجار العرب على التوغل في الداخل، وفتح مجالات للتجارة بين الداخل والساحل للاستفادة من موارده الاقتصادية الهائلة، التي كان في أمس الحاجة إليها، لهذا ازدادت

العلاقات التجارية بين الساحل والداخل، كما ازداد عدد القوافل التي أخذت تتجه من الساحل إلى الداخل لجلب العاج[19].

ولتأمين تجارة العاج بين الداخل والساحل، عمل السيد سعيد بن سلطان على بسط سيادته على طريق القوافل بينهما، في الوقت الذي أخذ يرسل فيه القوافل لجمع العاج لحسابه، والقيام ببيعه للتجار الأجانب من الأوروبيين والهنود والأمريكيين، وكذلك تصديره إلى الموانئ الجنوبية في تنجانيقيا (جمهورية تنزانيا الاتحادية)، ولعل هذا ما جعله يغلق المنطقة بين كلوة Kilwa وبنجاني Pangani أمام التجار الأجانب، خاصة أن بنجاني كانت تصدر بما يعادل 35,000 جنيه إسترليني من العاج سنوياً، بينما بجامويو Bagamoyo – الميناء المقابل لزنجبار في البر الإفريقي – أصبح المفضل للتجار للتوغل في أراضي أوناموزي وبحيرة تنجانيقيا[20]. وهنا نود الإشارة إلى أن كلوة وبنجاني وبجامويو كانت تعد من أهم موانئ تنجانيقيا، واشتهرت كلوة أيضاً كونها مركزاً إسلامياً تاريخياً.

ولم تتوقف مكاسب السيد سعيد بن سلطان من وراء تجارة العاج على الأرباح التي كان يحققها مباشرة من خلال عمله بالتجارة؛ إذ حقق أرباحاً أخرى من وراء الرسوم الجمركية، التي تفاوتت بين 5٪ و10٪ من قيمة العاج، وكان يقوم على تحصيلها ممثلون له، ممن لا يحق لهم ممارسة التجارة، وقد اختلفت الرسوم الجمركية على العاج باختلاف نوعيته، وأفضلها البوري، فالقلاش، ثم القلاش المسكوب؛ حيث حددت الرسوم على فارسيلا العاج البوري بثلاثة قروش، والعاج القلاش بقرشين ونصف القرش، وعاج القلاش المسكوب بقرش ونصف القرش[21]. وللتوضيح نشير إلى أن لكل من العاج البوري والقلاش والقلاش المسكوب تصنيفات عاجية لا علاقة لها بلون العاج وإنما تبعاً لجودته من حيث الشكل والملمس والنقاوة، وبناء عليها يتم تحديد رسوم العاج الجمركية وسعره في السوق. ولعل هذا ما جعل السيد سعيد بن سلطان يحصل سنوياً من وراء تجارة العاج على مبالغ ضخمة، كانت تشكل جزءاً مهماً من إيرادات زنجبار[22].

وفي عهد السيد ماجد بن سعيد بن سلطان (1856–1870م/ 1273–1290هـ) توطدت علاقات قبيلة أونيامويزي Unyamwezi – بمنطقة أونيانيامبي بغرب تنجانيقيا – مع القادمين الجدد من العرب والسواحليين. ويذكر كل من ريتشارد بيرتون Richard Burton وجون سبيك John Speke – اللذين يعدان من أوائل الغربيين الذين اخترقوا المنطقة – وجود استقرار عربي هناك. وكان ريتشارد بيرتون المستكشف الإنجليزي والمستشرق والعسكري والمترجم قد قاد العديد من الرحلات والحملات الكشفية حول العالم، منها حملته مع المستكشف البريطاني جون سبيك لمعرفة مصدر نهر النيل. وأشار المستكشفان إلى أن هناك حالات تزاوج بين العرب والأهالي في تلك المناطق. كما كان أبناء قبيلة أونيامويزي من منطقة أونيانيامبي يفضلون العرب على غيرهم بسبب ما يجلبونه من مصالح اقتصادية للمنطقة[23].

وقد سعى الكثير من تجار العاج إلى التفاهم مع زعماء وملوك المناطق التي تمر عبرها قوافلهم، وفي أحيان كثيرة عقدوا معهم اتفاقات لفترة محدودة. وكان التجار كثيراً ما يتنازلون عن جزء من أرباحهم من أجل تسهيل مرورهم، أو تقديم الهدايا للزعماء والملوك. وكانت هناك أيضاً تنازلات من طرف الملوك والزعماء، فلا غرو أن نجد أفوندا كيرا Afundakir – زعيم منطقة أونيانيامبي وسلطان تابورة Tabora في منطقة تنجانيقيا – لم يكتف بتسهيل مرور قوافل تجار العاج في منطقته، وإنما تنازل عن أخذ رسوم مرور على العاج الذي يحمله التجار عبر أراضيه. وكان ذلك في مقابل عدم تعاون تجار العاج العرب واتجارهم مع المشيخات الإفريقية المعادية لقبيلته. وتعد تابورا مدينة إسلامية قديمة ومن أشهر المراكز العربية التجارية في منطقة تنجانيقيا، واشتهرت بتجارة الذهب والعاج، وبلغ نفوذ التجار العرب في هذه المناطق أنهم كانوا يتدخلون لإزاحة من كانوا يهددون تجارتهم من حكام الداخل. ومن ذلك أن "ماسبيلا" Masbila خليفة زعيم أونيانيامبي "أفوندا كيرا" في 1859م عمل على افتعال مشكلات لعرقلة نشاط التجار العرب، فنجدهم يتجهون لمساعدة منافسه "مكاسيوا" Makasioa وينجحون في تنصيبه على حكم أونيانيامبي[24].

وقد أثر هذا الصراع على التجارة بشكل عام وتجارة العاج بخاصة، كما ساهم في انخفاض ما تحصل عليه زنجبار من رسوم وواردات من المنطقة. وكان الزعيم "ماسبيلا" قد سعى لاسترجاع حكمه دون فائدة حتى وفاته في 1865م/ 1282هـ. ولعل هذا ما دفع السيد ماجد بن سعيد سلطان زنجبار إلى التدخل، وتعيين السيد سعيد بن سالم اللمخي ممثلاً له في أونيانيامبي[25]. والسيد سعيد اللمخي أحد التجار العرب ذوي المكانة في منطقة تابورة، ولكن المعلومات عنه وما قام به من أدوار تعد شحيحة.

أما ما يتعلق بمنطقة أوجيجي Ujiji فنشير إلى أنها من المراكز التجارية التي بناها العرب على الجانب الشرقي لبحيرة تنجانيقيا، وكانت علاقاتها بزنجبار جيدة، بعد أن عمل حكامها مع السلطة العربية في زنجبار، لما يخدم مصالحهما، وبما يساعد على استمرار تبادل البضائع بين زنجبار والبر الإفريقي، لهذا لا غرابة أنه في نهاية حكم السيد ماجد بن سعيد استطاع تجار زنجبار والساحل الشرقي للقارة الإفريقية الوصول إلى أبعد نقطة من مناطق إنتاج العاج إلى الغرب من بحيرة تنجانيقيا، وكان لهذا أثره في ازدياد نفوذ زنجبار التجاري في العمق الإفريقي، حتى إن فترة الستينيات من القرن التاسع عشر الميلادي التي حكم فيها السيد ماجد بن سعيد عرفت فيها مناطق الشمال الغربي من منطقة تنجانيقيا توسعاً في تجارة العاج. وكانت من أكثر المناطق التي زادت فيها تجارة العاج ممالك الآتشولي Achole Kingdom والأنكولي Ankoli Kingdom (Nkore) والتورو (Toro Kingdom)[26].

وتعد كل من الأتشولي والأنكولي والتورو ممالك تقليدية تحكم عن طريق أسر حاكمة على حدود يوغندا، وتعد هذه الممالك من بين أهم المناطق التي ازداد فيها نشاط تجار العاج العرب والسواحليين، الذين التقاهم تجار عاج غربيون هناك، ممن جاؤوا إلى المنطقة، عبر المديرية الاستوائية التي تغلغل فيها النفوذ البريطاني عبر مصر في عهد الخديوي إسماعيل (1863-1879م/ 1280-1297هـ). وقد عمل حاكم عام المديرية جهده في تنظيم عمليات صيد الفيلة، والحصول على أكبر قدر من العاج[27].

كذلك عمل السيد برغش بن سعيد بن سلطان (1870-1888م/ 1287-1299هـ) جاهداً لتنظيم اقتصادات المنطقة في إطار المحاولات التي بذلها لتعزيز موازنة سلطنته بعد تراجعها مع الضغط عليه لإلغاء الرق وتجارة الرقيق - التي كانت أرباح سلطان زنجبار من ورائها ضخمة- ومع الإعصار الذي ضرب زنجبار في عام (1872م/ 1289هـ)، وأصاب اقتصادها بضرر كبير؛ مما جعل تجارة العاج والرسوم التي قررت عليها تمثل مصدر دخل مهماً لحكام آل بوسعيد في زنجبار، ولاسيما بعد أن لجأ السيد برغش بن سعيد إلى تعويض شح المحاصيل بفرض رسوم على كثير من السلع، وعلى رأسها العاج، الذي كان يحصل عليه التجار الهنود والأوروبيون من زنجبار، بعد أن عمل منذ عام (1874م/ 1291هـ) على رفع الرسوم عليه في جميع الموانئ التابعة للسلطنة العربية. كما رفع رسوم القرنفل القادم من جزيرة بمبا (تتشكل زنجبار من جزيرة زنجبار وجزيرة بمبا) بشكل ساهم في زيادة دخل دولته بنحو 100,000 دولار سنوياً[28]. وبالطبع كانت هذه الرسوم وراء ارتفاع أسعار العاج بشكل غير مسبوق (انظر ملحق 1)، وتهافتت الشركات الغربية والتجار الغربيون على العمل في سلع المنطقة، وبخاصة تجارة العاج[29].

وشجع السيد برغش- كغيره من سلاطين زنجبار- التجار العرب على التوغل إلى الداخل، لتوطيد النفوذ العربي، وجلب العاج، وتوثيق العلاقات الودية مع زعماء الداخل من الأفارقة، الذين أعلن الكثير منهم ولاءهم لحكام زنجبار من آل بوسعيد، وكان من بينهم الزعيم الإفريقي موينى كيري Mwinin Kheri. وهو يعد رئيساً لمركز أوجيجي التجاري الذي يعتبر من أهم المراكز التجارية العربية في الداخل، وكان أعلن ولاءه لسلطان زنجبار السيد برغش بن سعيد في أوائل الثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي[30]؛ مما جعل تجار العاج العرب يواصلون العمل مع تابورة، وأوجيجي التي تعد من أهم مراكز تجارة العاج في الداخل، وحول شواطئ بحيرة تنجانيقيا. واشتهرت مناطق أخرى بتجارة العاج مثل كاسينجي Kasinji، ونيانجوي Nianjwi، وكيتانجولي Kitanjoli وكافرو Kafuro [31]. وتقع تلك المناطق إلى الغرب من بحيرة

تنجانيقيا. وكان بعض حكام هذه المناطق قد منعوا التجار العرب من الحصول على العاج مباشرة من صائدي الفيلة، حتى إن ملك مملكة البوجندة Puganda (أوغندا Uganda، وكانت مقسمة إلى أربع ممالك هي بوجندة وأنكولي وأورور وبانبورو) كان لا يسمح للتجار العرب بالتعامل المباشر مع صائدي الفيلة، بل كان يسمح لهم فقط بالحصول على كميات العاج المتجهة لتجار الساحل[32].

طرق تجارة العاج ومحطاتها ومخاطر العمل عليها

كان تطلع التجار العرب والسواحليين للوصول إلى مصادر العاج بشرق إفريقيا ووسطها وراء سلوكهم طرق قوافل القبائل، بشكل أدى إلى ازدياد الحركة عليها، وظهور عدد من الطرق التجارية، التي أدت دوراً مهماً في ازدياد تجارة العاج وانتعاشها وتطورها بشكل كبير، بعد أن وصلت الرحلات المنتظمة للقوافل إلى البحيرات الإفريقية الكبيرة في الداخل، مثل بحيرتي تنجانيقيا، وفيكتوريا Victoria، وقد تناولت كتابات الرحالة والمستكشفين تلك القوافل العربية وطرقها، والمحطات التجارية التي أنشئت عليها، لتسهيل الحركة التجارية بين الساحل والداخل الذي وجدت به ممالك وسلطنات إفريقية، محلية مثل ممالك مونوتابا Monotaba والزامبا Zamba وماكالانجا Makalanga [33].

وفي الداخل التقى التجار العرب العُمانيون الباحثون عن العاج القبائل التي كانت تقوم على جمعه وبيعه لهم بشمال موزمبيق Mozambique وجنوب تنجانيقيا، ومن أشهرها قبائل الياو Yao التي كانت تجلب العاج لموانئ الساحل الشرقي الإفريقي مثل ميناء كيلوة كيسويني Kilwa Kiswani وقبائل أونيامويزي في وسط تنجانيقيا، وقبائل الكامبا Kamba في كينيا Kenya. وقد ساهمت قبائل أونيامويزي مساهمة فعالة في فتح البر الإفريقي أمام التجار والمغامرين العرب، بعد أن عملوا وتعاونوا مع تجار القوافل، كما قاموا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي بالتوسع التجاري العربي إلى العمق الإفريقي. كما عملت قبائل ناييكا Nyika كوسيط بين الكامبا Kamba في كينيا والسواحليين

والعرب والهنود على الساحل الشرقي للقارة الإفريقية، كما قام رجال الكامبا بجلب العاج لميناء ممباسا Mombasa في كينيا للتجارة[34].

وأصبحت القوافل العربية في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تسلك ثلاث طرق، من الساحل إلى داخل القارة بحثاً عن العاج، منها الطريق الساحلي الجنوبي الذي يبدأ من كيلوة كيسويني Kilwa Kasweeni، وكيلوة كيفنجي Kilwa Kifangi، وتعد هاتان المدينتان الساحليتان من المراكز الإسلامية التاريخية في تنجانيقيا، ويمتد الطريق إلى بحيرة ملاوي Malawi، ويصل إلى وسط إفريقيا، وينقل عبر هذا الطريق الكثير من البضائع للساحل، بما فيها العاج. أما الطريق الثاني، فهو المسلك المركزي الذي يخرج من موانئ بجامويو Bagamoyo وسعدني Sadani، وهي موانٍ مهمة في تنجانيقيا مواجهة لجزيرة زنجبار، ويستخدم هذا الطريق تجار العاج، وهو الطريق الذي يمتد إلى وسط تنجانيقيا والمناطق المحيطة ببحيرة تنجانيقيا وفيكتوريا، ويستمر باتجاه الغرب إلى داخل القارة الإفريقية؛ ومما يجب الإشارة إليه أن أغلب المراكز العربية التي ساهمت في توغل العرب في الداخل تقع على هذا الطريق الذي امتد بعد عهد السيد سعيد إلى القسم الشرقي من زائير Zaire (حوض نهر الكنغو) Congo River. أما الطريق الثالث الذي اشتهر بتجارة العاج فيبدأ من ميناء بنجاني Pangani (تنجانيقيا) وممباسا (كينيا) عبر البراري القريبة من جبال كلمنجارو Mount Kilimangaro، ويصل إلى كينيا وبحيرة فيكتوريا والحدود الإثيوبية Ethiopia[35].

وكان ازدياد تجارة العاج وتطورها يوماً بعد يوم، وراء شروع التجار العرب والسواحليين في إنشاء مراكز دائمة، ومحطات استراحة لقوافلهم التجارية، ومخازن لحفظ بضائعهم، على تلك الطرق، التي سرعان ما نمت واتسعت، حتى تحولت إلى مراكز تجارية متخصصة في تجارة العاج، ومراكز ومحطات ومخازن لحفظ السلاح والغذاء حتى لا يتعرض للتلف أو السرقة. وأوكلت مهمة حمايتها لرجال سلحوا ببنادق لهذا الغرض، كما استفيد منها كمحطات متقدمة لتسهيل نشاط القوافل العربية المتجهة من الساحل نحو

الداخل. وسرعان ما تطورت تلك المحطات بطول الطرق التجارية، وأصبحت محط جذب للتجار والمغامرين العرب والأفارقة على حد سواء، وتوسعت حتى أصبحت مدناً تجارية، من أهمها تابورة، وأوجيجي. ويمكن القول إن هذه الطرق وما عليها من محطات ومراكز تجارية ساعدت الرحالة والمستكشفين الغربيين في رحلاتهم الكشفية الكبرى، كما نشرت طرق الزراعة ووسائلها هناك، وعملت على إدخال محاصيل جديدة لم يسبق زراعتها. إذن، الأمر لم يكن مجرد قوافل وتجارة، وإنما انتشر معها فكر وحضارة عربية إسلامية. ويذكر المؤرخ سعيد المغيري صاحب كتاب "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار" "أن العرب تفرقوا في البر الإفريقي واتخذوا من تابورة مركزاً تجارياً لهم، ومنها تتحرك تجارتهم إلى أوغندا شمالاً، وإلى أوجيجي جنوباً، وإلى الكنغو غرباً، وإلى بلاد أوروري شرقاً"، كذلك استطاع تجار العاج العرب العمانيون ارتياد أهم الموانئ بالمنطقة، ومن بينها باجمايو وبنغاني وممباسا، لقربها من عاصمة زنجبار، التي كانت تعد الميناء الرئيس لاستيراد العاج وتصديره[36].

وتشير المصادر إلى أنه في عام 1863م كان أغلب العاج يجلب من تابورة، وأوجيجي، التي ظهرت فيها شخصيات عربية؛ ففي أوجيجي كان هناك تجار عرب وسواحليون، من أشهرهم محمد بن صالح النبهاني وموينى كيري Mwinyi Kheri. وكان محمد النبهاني - بالإضافة إلى تجارته الواسعة - من أصحاب النفوذ، بينما تكمن أهمية موينى كيري في كونه رئيس مركز أوجيجي التجاري[37]. وكان السيد سعيد بن سلطان قد أدرك أهمية المنطقة وأرسل إليها أحد قادته العسكريين ممثلاً له إضافة إلى تكليفه مهمة مسؤول جمرك منطقة كولي Koli القريبة من بجامويو[38].

وكانت سلطة سلطان زنجبار على تلك المناطق المترامية الأطراف اسمية أكثر منها فعلية، ولا تتجاوز رفع العلم السلطاني الأحمر، ومع ذلك اعتبر حكام بعضها أنفسهم تابعين لسلطان زنجبار، ولاسيما أنها كانت تبعية لا تكلفهم شيئاً، وتمثل بالنسبة إليهم جزءاً من النمو الاقتصادي.

وأدت الإجراءات التي اتخذها السيد سعيد تجاه تنظيم التجارة،

واستقطاب التجار من جميع الإثنيات، دوراً في جعل زنجبار لؤلؤة المحيط الهندي، كما أدى اشتداد الطلب على العاج ورواج تجارته إلى وضع حد للصراع بين الزعماء المحليين - الماشومفي MaShomvi، وزعماء أوزامبارا Usambara - والاتجاه إلى التعاون الإيجابي بشكل جعل بجامويو منطقة جاذبة للاستقرار، حتى أصبحت في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أحد أهم مراكز تجارة العاج، وأهم موانئ البر الإفريقي[39].

وكان نقل العاج على طرق القوافل بين الساحل والداخل مكلفاً ومحفوفاً بالمخاطر. فنظراً لأن العاج مادة صلبة وثمينة، فقد احتاجت عملية نقله إلى عناية فائقة، كما احتاجت إلى نفقات هائلة، حتى بلغت تكاليف نقل طن العاج من منطقة أوجيجي إلى الساحل الشرقي للقارة الإفريقية نحو 50 جنيهاً إسترلينياً، ولعل ارتفاع تكاليف نقل العاج كانت وراء اتجاه قادة القوافل إلى استخدام الأرقاء في نقل العاج[40]؛ لهذا لم يكتف تجار الرقيق وقادة القوافل بخطف الرقيق أو شرائهم واستعبادهم فحسب، بل اتجهوا إلى استغلالهم جسدياً وتحميلهم ما يفوق طاقتهم دون مقابل مادي، حتى إن الواحد منهم كان يحمل على رأسه أو ظهره ما يراوح بين 50 و 70 رطلاً[41].

وبقدر ما كان العمل بتجارة الرقيق في خط مواز مع العمل في تجارة العاج مفيداً للأخيرة، فإنه كان أيضاً أحد المخاطر التي تؤثر عليها، ولاسيما بعد رصد حالات كثيرة من هروب الأرقاء أو الحمالين، مع ما في حوزتهم من بضائع سواء كان عاجاً أم غيره، ولم يقتصر تهديد تجارة العاج على عمليات هروب العبيد، بل امتد إلى ما كانت تتعرض له القوافل من هجوم أو فشل في الحصول على ما يحتاج إليه القائمون عليها من سلع. وفي هذه الحالات كان كثير من تجار العاج يفضلون البقاء بالداخل على العودة إلى الساحل تجنباً للمطالبة بالديون وإرجاع المبالغ التي استدانوها. وهذا ما يؤكده العديد من المراسلات بين الحكومة البريطانية ممثلة بقناصلها والحكومة المركزية في لندن[42].

وعلى الرغم من المخاطر التي كانت تعترض تجارة العاج بشرق إفريقيا، فإن تجارها حققوا أرباحاً ضخمة، تناسبت طرداً مع حجم المخاطر التي كانت

تواجه هذه التجارة، وتعكس هذه الأرباح الضخمة فارق الأسعار التي كان يجمع بها العاج بالداخل وأسعار بيعه في زنجبار أو في الموانئ؛ حيث كان التجار يشترون العاج من القائمين على تجميعه من أبناء القبائل الإفريقية بأسعار زهيدة، بعد مساومات استغرقت – في معظم الأحيان – أوقاتاً طويلة، في الوقت الذي ارتبطت فيه عملية الشراء والمساومة بتسويق سلع أخرى، مقابل الحصول على العاج، منها: الرقيق، والخرز، والأقمشة، والمنسوجات القطنية، ولا سيما الأوروبية والأمريكية، والأسلحة والبارود؛ ففي بعض المناطق كانت قطعة السلاح تتم مبادلتها بما يقدر بـ 75 رطلاً من العاج، وفي مناطق قبائل الياو كان متوسط سعر ناب الفيل بما يراوح بين 30 و36 ياردة من القماش، أو بين 7 و15 رأساً من الرقيق. وكان الهنود في منطقة كلوة يبادلون 1400 رطل من العاج بلفة صغيرة من سلك النحاس أو عقد الخرز، ولعل هذا ما دفع رجال قبائل الياو إلى تفضيل العرب على الهنود في عمليات بيع العاج وشرائه؛ إذ إن العرب كانوا يدفعون ثمن العاج الذي يحصلون عليه نقداً[43].

وكان تحديد سعر العاج يخضع – في الغالب – لنوعيته، وبُعد أو قرب مصادره من الساحل، لهذا وصل الفارق في سعر العاج بين أوجيجي وتابورة إلى ما بين 50٪ و100٪. كذلك فاقت أسعار العاج في الساحل أسعاره في الداخل بدرجة كبيرة؛ ففي مناطق أسفل بحيرة تنجانيقيا كان تجار العاج يشترون فارسيلا العاج بما يعادل 25 سنتاً، ويبيعونه بزنجبار في حدود 120 دولاراً[44].

وفي مناطق أخرى بالداخل كان العاج الذي يُشترى بمبلغ ألفي دولار يباع في الساحل بسبعة آلاف دولار، كذلك كانت المائة فارسيلا من العاج التي تشترى من الطرف الشمالي لبحيرة تنجانيقيا بنحو ألف دولار، تباع في زنجبار بسعر يراوح بين 4500 و5600 دولار؛ مما يعني أن أسعار العاج في الساحل فاقت مثيلاتها في الداخل بأكثر من ثلاثة أضعاف، لهذا حقق تجار العاج في الساحل، وكذلك القبائل القريبة منه – التي كانت أكثر إدراكاً لقيمة العاج من قبائل الداخل– أرباحاً كبيرة[45].

أما أسعار العاج بمنطقة شرق حوض نهر الكنغو فكانت منخفضة بعد أن

أصبح رطل العاج يباع بسعر يراوح بين نصف سنت وسنت ونصف السنت. وقد أوضح ذلك المؤرخ المغيري ورحالة غربيون ومستكشفون، منهم المستكشف البريطاني (الأمريكي) هنري مورتن ستانلي Stanley H.M. [46] وعرف ستانلي كمستكشف ورحالة وصحفي ارتبط اسمه بملك البلجيك ليبولد الثاني.

مشاهير تجار العاج العرب العُمانيين

وكما كان هناك هنود حققوا شهرة في تجارة العاج بشرق إفريقيا، كان هناك تجار عرب بلغت شهرتهم في تجارة العاج مبلغاً كبيراً، وبخاصة في عهد السيد برغش بن سعيد. وقد قدم لنا المغيري في كتابه "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار" بعض أسماء هؤلاء التجار المغامرين العرب الذين توغلوا في منطقة حوض نهر الكنغو، وما عانوه من مصاعب ومشاق من أجل العاج[47]. وكان من بين الأسماء المعروفة والمشهورة التي اقتحمت مجاهل القارة الإفريقية، وعلى وجه الخصوص حوض نهر الكنغو، محمد بن سعيد المرجبي، ومحمد بن خلفان البراوني، وحميد بن محمد المرجبي. وكان حميد بن محمد المرجبي ومحمد المرجبي ومحمد البرواني من أشهر التجار العرب العُمانيين في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر الميلادي، وساهم هؤلاء التجار في توسيع التجارة العربية في تنجانيقيا والكنغو.

وكان حميد بن محمد المرجبي المشهور بلقب "تيبو تيب" واحداً من أشهر العرب العُمانيين في شرق إفريقيا، وتمكن من أن يكون صاحب الكلمة في حوض نهر الكنغو[48]. وكانت له علاقات واسعة بالرحالة ستانلي وملك البلجيك ليوبولد الثاني، كما أشاد به رجال الإرساليات التنصيرية في شرق إفريقيا. وبدأ نشاط المرجبي التجاري في سن الثامنة عشرة، وعمل في تجارة الرقيق والعاج، التي ازدهرت في وقته حتى كون ثروة من تجارة العاج الأبيض والأسود، جعلت حاكمي زنجبار ماجد بن سعيد والسيد برغش بن سعيد يرتبطان به، ويستعينان به لتوطيد النفوذ العربي في المناطق الداخلية من شرق إفريقيا، في الوقت الذي كان يمارس فيه نفوذاً سياسياً واقتصادياً في أعالي الكنغو

بعد عام 1870م (1287هـ). وبلغت شهرة المرجبي أن عدداً من الرحالة الأجانب أمثال ديفيد لفنجستون Livingston وستانلي، وكاميرون Cameron وفون وايزمن Von Waizman، لم يستغنوا عن مساعدته في العمل بالمنطقة[49].

وكان ديفيد لفنجستون قد عُرف كرحالة ومستكشف ومبشر ولغوي وطبيب جراح ساهم في العديد من الاستكشافات في نهر الزمبيزي، كما أدى دوراً في محاربة الرق والاسترقاق في شرق إفريقيا. وكان ستانلي الذي عرف بدوره كرحالة وصحفي ارتبط بعلاقات مع ملك البلجيك ليوبولد الثاني وتعاون مع حميد المرجبي، وكلف ليبولد الثاني مشروعاً ظاهره البحث العلمي، ولكنه في حقيقته يمثل رغبة لدى الملك في إقامة نفوذ له في المنطقة. ولما أدرك ستانلي الإمكانيات الهائلة التي يملكها حميد المرجبي - سواء على مستوى العلاقات العامة مع القبائل أو حتى معرفته بالمنطقة، وما يتمتع به من نفوذ سياسي وديني - أخذ يوظفه لخدمة مخططات ملك البلجيك في حوض نهر الكنغو[50]. أما كاميرون فهو ضابط بحري ومستكشف بريطاني أرسل لمساعدة الرحالة لفنجستون، وجال في وسط القارة الإفريقية.

وفي أثناء ذلك طلب السيد برغش بن سعيد من المرجبي العودة حماية للمصالح العربية هناك من الهيمنة الأوروبية. وكانت جهود ملك البلجيك قد تحققت بعد مؤتمر برلين 1884-1885م بإعلان منطقة الكنغو منطقة حرة، ووضع إدارتها تحت تصرفه. في الوقت الذي راحت تعمل فيه الإدارة البلجيكية على الحد من نفوذ العرب الاقتصادي والسياسي؛ مما أدى إلى الصدام بين الطرفين بعد أن اتجهت سياسة ملك بلجيكا إلى إدخال التجارة المشروعة، وتحويل طرق تجارة العاج تجاه غرب إفريقيا بدلاً من شرقها؛ مما يعني تحويل طرق تجارة العاج بعيداً عن زنجبار، وحرمان العرب من العمل في تجارته. وكان البلجيك يهدفون من وراء كل هذا إلى وضع أيديهم على مصادر العاج وتجارته في وسط إفريقيا. وهذا هو لب الصراع بين التجار العرب والبلجيك[51]. وهنا لابد من الإشارة إلى أن البلجيك كغيرهم من القوى الاستعمارية الغربية - من أجل مصالحهم الاقتصادية - حاربوا العرب للانفراد بخيرات البلاد، ولهذا اهتموا

بتشويه صورة العرب في المنطقة، وإثارة القوى الوطنية الإفريقية ضدهم بحجج وذرائع شتى، وقد قام المرجبي من جانبه ببعض الجهود لمنع العرب والأفارقة من بيع ما لديهم من عاج لممثلي ملك البلجيك ليبولد الثاني فيما عرف بالكنغو الحرة، كما بذل جهوداً للدفاع عن المنطقة التي كانت تحت سلطته، ولكن جهوده باءت بالفشل[52].

الهنود وتجارة العاج

ارتبط اهتمام العرب بتجارة العاج بشرق إفريقيا، واتجاه أصحاب الإقطاعيات الزراعية، إلى العمل في تلك التجارة، والجمع بين الاستثمارات الزراعية والتجارية، بعد أن اتجهوا لاستثمار الأموال التي تراكمت لديهم من جراء سياسة سعيد بن سلطان الزراعية، والتوسع في زراعة القرنفل، وجوز الهند – في العمل بتجارة العاج، بعد أن فاقت أرباحها مثيلاتها في الزراعة[53]. وقد اعتمد التجار العرب في توغلهم بداخل إفريقيا بحثاً عن العاج على الأرقاء الأفارقة الذين كانوا أحوج ما يكونون إليهم للعمل في مزارعهم، وجمع العاج وشرائه، ونقله إلى زنجبار[54].

كذلك لجأ تجار العاج العرب إلى أصحاب رأس المال الهنود للحصول على قروض منهم لتمويل تجارتهم في العاج، بعد أن أصبح مطلوباً منهم – بالإضافة إلى تمويل عمليات شراء العاج ونقله – كسب ولاءات شيوخ القبائل الإفريقية وزعمائها بتقديم الهدايا لهم، وقد وجد أصحاب رأس المال الهنود في تمويل تجارة العاج من المصدر حتى الساحل ما يدر عليهم أرباحاً طائلة، بعد أن تراكمت استثماراتهم في الزراعة والأعمال الزراعية مع تدهور الزراعة وانخفاض أسعار القرنفل، في الوقت الذي كانت لا تسمح فيه بريطانيا لهم من الناحية الرسمية – باعتبارهم رعاياها وبسبب موقفها من تجارة الرقيق عندئذ– بامتلاك الأرقاء الذين تقوم على أكتافهم العمليات الزراعية، لهذا لم يجد الهنود أمامهم إلا المساهمة في تمويل تجارة العاج، ولاسيما بعد أن اعتمد سلاطين زنجبار عليهم في تمويل تجارتهم بين ساحل إفريقيا وداخلها[55]. وبلغت مشاركة الهنود

للعرب في تجارة العاج أن ملاك الإقطاعيات الزراعية من العرب والسواحيلية، ممن اتجهوا إلى العمل في تجارة العاج، رهنوا مزارعهم للتجار والمرابين الهنود وبفوائد فاحشة، حتى يحصلوا على القروض اللازمة لتجارتهم.

وكان الهنود يتحكمون في سوق العاج حتى إنهم كانوا يشترون ما يجلب من عاج بأسعار زهيدة، بعد أن سيطروا على أعمال السمسرة والوساطة التجارية، في الوقت الذي أجبر فيه تجار القوافل والمغامرون من العرب والسواحيلية على بيع العاج لهم، لتسديد ما عليهم من التزامات مالية، لهذا كان الهنود أكثر استفادة من تجارة العاج العربية بشرق إفريقيا؛ حيث تمكنوا - بوساطة العمليات التي كانوا يقومون بها في تلك التجارة - من استحواز كثير من الإقطاعيات الزراعية، التي كانت ترهن لتمويل العمليات التي تتصل بتجارة العاج بين الداخل والساحل، والتي آلت إليهم بعد عجز أصحابها عن سداد ديونهم، في حال تعرض قوافلهم للنهب أو المصادرة من قبل الزعماء والملوك الذين كانت تمر بأراضيهم، أو بمقربة منها؛ مما أدى إلى إفلاس تجار كثر من العرب والسواحيلية، وفشلهم في تسديد ما عليهم من التزامات مالية، ومن ثم فقدان أصولهم المرهونة[56].

ونظراً لنفوذ الهنود المالي في تجارة العاج، فقد أجبروا عملاءهم من العرب والسواحيلية على قبول أسعارهم الزهيدة، التي حققوا من ورائها أرباحاً ضخمة، بعد أن عرفوا كيف يسوقون العاج بأسعار مختلفة للشركات الأوروبية والأمريكية والآسيوية. ولعل هذا ما جعل الهنود يقومون بأعمال الوساطة التجارية التي مكنتهم من التحكم في تجارة العاج بالجملة والتجزئة وتحولهم إلى وكلاء لشركات هندية كبرى تتعامل مع شركات بريطانية، وقد تمكنوا من خلال العمل معها من جعل أرباح تجارة العاج تصب في جيوبهم وخزائن الشركات البريطانية، لذا لا عجب أن تستخدم بريطانيا الهنود في حماية مصالحها في سلطنة زنجبار[57].

وعلاقة الهنود بالمعاملات التجارية للعاج كانت وراء سيطرتهم على تجارته بشرق إفريقيا، وبخاصة بعد أن شجعهم سلاطين آل سعيد على ممارسة

التجارة والاستقرار في زنجبار، والاستعانة بهم في تدبير احتياجاتهم من الأموال، والاستعانة بعناصر منهم في إدارة الجمارك، حتى إن ملتزم الجمارك في عهد السيد سعيد بن سلطان وأبنائه من بعده كان من بين التجار الهنود، الذين ذاعت شهرة بعضهم، ومنهم تاريا توبان Taria Topan و جيرام سوجي Jiram Sweji، الذي بلغ درجة كبيرة من الثراء، جعلت له حظوة في زنجبار، اكتسبها – ربما – بعد إشرافه على جمارك السلطنة العربية[58].

الآثار التي ترتبت على اشتغال العرب بتجارة العاج

كان اهتمام العرب بتجارة العاج، والعمل للوصول إلى مصادر إنتاجه، وراء نقل كميات كبيرة منه إلى الساحل، ومن ثم إضافة سلعة مهمة إلى السلع التي كانت السفن الغربية تتردد على المنطقة لحملها إلى الأسواق الخارجية، مما أدى إلى زيادة عدد الموانئ، والاهتمام بتحديثها، حتى تتسع لاستيعاب الحركة التجارية، في الوقت الذي تضخمت فيه المدن، حتى إن بجامويو- المدينة الساحلية – توسعت مساحتها ثلاثة أضعاف بسبب النشاط التجاري وتجارة العاج[59]. كذلك ساهم اهتمام العرب بالوصول إلى مصادر العاج بالداخل في تجاوزهم الشريط الساحلي لشرق إفريقيا، وبلوغهم مسافات بعيدة بداخل القارة، حتى وصلوا بحيرة فكتوريا، وبحيرة رودلف، واستطاعوا العبور غرب بحيرة تنجانيقيا، وتمكنوا من التغلغل إلى الداخل، حتى وصلوا في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إلى منطقة بوكيربي Bukerbe بحثاً عن العاج، الذي كان يجلب معظمه حتى أواخر الخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي من داخل تنجانيقيا[60]. وتعتبر منطقة بوكيربي من أهم مناطق غرب بحيرة تنجانيقيا الغنية بالعاج.

وبالطبع كان توغل العرب نحو الداخل من الساحل الشرقي لإفريقيا، وراء إقامة علاقات بين التجار العرب وسلاطين زنجبار من ناحية وملوك الداخل الإفريقي، وبخاصة ملوك البوجندة من ناحية أخرى، حتى إن تجار العاج العرب، وسلاطين زنجبار أمدوهم بالأسلحة النارية الحديثة، وتعدى الأمر إلى

إقدام ملوك البوجندة على تعيين عدد من التجار العرب الأثرياء كمستشارين لهم[61]. كذلك أدى اهتمام التجار العرب بالعاج دوراً مهماً في تسليعه بشرق إفريقيا، ولفت انتباه سكان البلاد الأصليين إلى أهميته كسلعة، بعد أن كانوا لا يقدرونه. وهذا ما أشار إليه المؤرخ المغيري فيما سماه "حديث غريب عن القارة الإفريقية الشرقية"، ومعاناة العرب المغامرين وكيف تمكنوا بعد عناء وشدة من اكتساب ثقة الأهالي، وملوك المنطقة، وتجميع كميات هائلة من العاج والعود بها إلى الساحل، وما درته عليهم من مبالغ خيالية، على الرغم من أنهم كانوا يجدون" العاج.... ملقى كأنه حطب... وصاروا يجمعونه من الزناجل؛ لأنه... في ذلك الزمان غير معروف ولا مرغوب فيه بين الأهالي؛ لأنه.... إذا مات الفيل تبقى ضروسه ساقطة على الأرض، وإذا صادوه وأكلوا لحمه يلقون بالعاج في مكان بعيد؛ لأن العاج والعظام عندهم بالسوية"، وكان رد فعل هؤلاء السكان على اهتمام العرب بجمع العاج بقولهم للعرب: "ماذا تريدون من هذه العظام ونحن أكلنا لحمها ولا تصلح لبناء البيوت... ". وكان رد المغامرين العرب: "نحن في حاجة إليه". وأشار المغيري إلى نجاح العرب في تشغيل بعض سكان البلاد معهم لجمع العاج، و تمكنوا من خلال حمل السلاح ليس من الحصول على العاج فقط، وإنما الدفاع عن أنفسهم في تلك المناطق الموحشة، حتى تمكنوا من العودة إلى زنجبار بكميات كبيرة منه، باعوها "بثمن جيد"[62].

وبمرور الوقت أقبل سكان الداخل والساحل الإفريقي - بمن في ذلك الملوك - على جمع العاج وبيعه للتجار العرب، حتى لوحظ أن المناطق التي كان يتمتع فيها الملوك، أو من يمثلهم، بسلطة وحظوة - تنشط في تجارة العاج، وكانوا لا يسمحون لأحد بأن ينشط في تجارة هذه السلعة دون موافقتهم. وكان الملك يحصل على ناب من كل نابين يتم جمعهما، ومن المفارقات أيضاً أن الملك كان له الحق في شراء الناب الثاني، وهذا ما جعل ملوك المنطقة- وبخاصة ملك مملكة بوجندة في أوغندا - من أكبر تجار العاج ومحتكريه، وبيعه مباشرةً إلى التجار العرب والسواحيلية[63].

وارتبط بتسليع العاج إقدام قبائل إفريقية كثيرة على العمل بتجارته، حتى إن القبائل القوية أصبحت لا تسمح بالاتجار في العاج دون علمها وموافقتها؛ فقبائل الياو التي أجبرت قوتها العرب والسواحليين على عدم تحديهم، كان ملوكها لا يسمحون بالاتجار في العاج إلا عن طريقهم[64].

وبلغ سعي الأفارقة إلى الاستفادة من تسليع العاج، أن الممالك التي لم يكن لها منفذ بحري كانت تسعى للاستفادة من العمل بتجارة العاج، حتى إن البينور Bunyoro (مملكة البينور) الذين لم يكن لهم منفذ بحري يساعدهم على التواصل التجاري مع الخارج، اتجهوا إلى تسويق ما كان يتوافر لديهم من عاج عن طريق مملكة البوجندة، وعبر منطقة غندكرو في أعالي النيل[65]، وجزيرة غندكرو في جنوب السودان شمال مدينة جوبا.

على أية حال أدى الحرص على الاستفادة من تسليع العاج وأرباحه إلى البحث عنه أينما كان والإلمام بنوعياته، حتى إن التجار العرب عندما أدركوا الفرق بين عاج المناطق الجافة وغير الجافة، أدركوا أن العاج الناصع البياض والخفيف الوزن يتوافر في المناطق الزراعية، لذا اتجهوا إلى البحث عنه في الأراضي الزراعية والمراعي، أما المناطق التي تكثر فيها الغابات والمطر فكانت نوعية عاجها ثقيلة وخشنة، لهذا كان التجار لا يتجشمون عناء الصيد في الغابات إلا بعد نقصان أعداد الفيلة بالمناطق الجافة[66].

ومن الآثار التي ترتبت على تسليع العاج، انتشار عمليات اصطياد الفيلة، وتكوين فرق من الأفارقة لصيدها في وسط تنجانيقيا وشمالها، والمتتبع لتاريخ إفريقيا بشكل عام وشرق إفريقيا بشكل خاص يعرف جيداً أن العرب لم يشاركوا في صيد الفيلة، ولم يعرف عنهم امتهانهم لهذه المهنة. والدراسات حول مساهمة العرب في تجارة العاج توضح بجلاء أنهم ظلوا بعيدين عن استخدام السلاح في صيدها، بعد أن اقتصر دورهم على شراء العاج من السكان المحليين[67].

ومما لاشك فيه أن ازدياد أهمية العاج وانتشار عمليات صيد الفيلة كادت تقضي على مصدر العاج نفسه، وتتسبب في انقراض الفيلة، ولهذا لجأت

مؤسسات ومنظمات عالمية لتجريم صيد الفيلة من أجل أنيابها بهدف المحافظة عليها في المحميات الإفريقية. وقد حققت تلك التشريعات واللوائح نجاحاً محدوداً سمح بتنظيم محميات طبيعية تسمح للفيلة بالتكاثر في السنوات الأخيرة.

كذلك كان انتشار تجارة السلاح بشرق إفريقيا ووسطها من النتائج التي ترتبت على تجارة العاج، بعد أن أصبح السلاح مطلوباً للمدبرين للعاج من أجل اصطياد الفيلة، لهذا أصبح السلاح يمثل جزءاً مهماً من قيمة العاج بشكل أدى إلى تصاعد أعمال العنف بشرق إفريقيا، واتساع عمليات إبادة الفيلة، حتى إن التجار العرب الذين تعاملوا في الداخل مع كثير من كيانات الداخل السياسية، أصبحوا مصدراً من مصادر قوتها، لقيامهم على توفير الأسلحة لها، وهذا ما جنب التجار العرب مواجهة الزعماء المحليين، وبخاصة ملوك البوجندة والبوجنة، الذين استفادوا من تجارة السلاح الذي كان يوفره التجار العرب[68]، حتى إن موتيسا Mutesa – ملك بوجندة – حصل من التجار العرب على أسلحة مكنته من زيادة سلطته ونفوذه على المناطق المجاورة، والأمر نفسه ينسحب على زعماء الياو، لهذا لا غرابة أن يصبح بعض هؤلاء التجار من المستشارين المقربين لهؤلاء الملوك، في الوقت الذي كان فيه ملوك مناطق أخرى – كمنطقة بوروندي – ينفرون من العرب، ولا يسمحون لهم بالاقتراب من حدودهم[69].

الغرب وإقصاء العرب عن تجارة العاج بشرق إفريقيا

مع ازدهار تجارة العاج بشرق إفريقيا، بفضل الجهود التي قام بها التجار العرب لتسليع العاج، بدأ الأجانب يتوافدون على المنطقة تسبقهم أموالهم، للعمل في المجالات التي تدر عليهم أرباحاً طائلة، وهو ما ينسجم مع توجهات الرأسمالية العالمية في حصد الفائض من الأطراف، ونقله إلى المراكز، لهذا افتتحت شركات غربية فروعاً لها في شرق إفريقيا، وبخاصة في زنجبار، من أهمها شركات هانسنج Hansing، وأزوالد Oswald، وماير Mayer، وروفراسنت Rouxfrasnet [70]، التي عملت في مجالات عديدة، بداية من الأراضي الزراعية

وزراعة المحاصيل النقدية، مروراً بالاستيراد والتصدير، وانتهاءً بتجارة العاج. وكان معظم نشاط هذه الشركات في مجال تجارة العاج مع التجار والممولين الهنود الذين كانت تربطهم بشركات بريطانية وأمريكية علاقات اقتصادية ضخمة، ولعل هذا يفسر ضخامة صادرات العاج من شرق إفريقيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي[71].

وفي محاولة من الشركات الغربية العاملة بتجارة العاج في شرق إفريقيا للسيطرة على تجارته، اتجهت في ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي- ومع ازدياد النفوذ الأجنبي بالمنطقة - إلى توتير العلاقات العربية - الإفريقية، وإثارة سكان البلاد تجاه التجار العرب في الوقت الذي اهتمت فيه الحكومات الغربية والرحالة والمستكشفون والمبشرون الغربيون بتغذية العداء للعرب والتجارة العربية، ووصف العرب بأنهم ليسوا إلا تجار عاج استغلوا واستعبدوا الإنسان الإفريقي، واهتموا بتحسين صورة التجار الهنود، وعملوا على تعزيز سلطات الأجانب ونفوذهم ودولهم في عمق الداخل الإفريقي. وقد استفادت الإرساليات التبشيرية الغربية من وجود الشركات الغربية في تعزيز وجودها[72].

ومع ازدياد التغلغل الغربي بزنجبار في عهد السيد خليفة بن سعيد (1888-1890م/ 1306-1308هـ)، وترهل الأسرة الحاكمة، بسبب الصراع على السلطة، أخذت زنجبار تفقد - تدريجياً - مناطق نفوذها بشرق إفريقيا[73] حتى فقدت استقلالها مع بداية عهد السيد علي بن سعيد (1890-1892م/ 1308-1310هـ)، الذي كان بداية النهاية لدور العرب في تجارة العاج بشرق إفريقيا، وبخاصة بعد أن تحولت المنطقة إلى منطقة نفوذ بريطانية، وأصبحت بجمايو الميناء المهم لتجارة العاج تابعاً للأملاك الألمانية في شرق إفريقيا في عام (1890م/ 1308هـ)[74]. وهذا ما ساهم في تراجع دور العرب في تجارة العاج بشرق إفريقيا، التي انتقلت السيطرة عليها للتجار الأجانب وشركاتهم التي أخذت تحتكر كل العمليات المتصلة بتجارته، بالتعاون مع وكلاء لها من الأفارقة والهنود، وأحياناً بعض العرب والسواحليين.

الخاتمة

يمكن تلخيص نتائج البحث في النقاط التالية

(1) عرف العرب العُمانيون شرق إفريقيا منذ القدم، فتاجروا مع سكانها، واستقر الكثير منهم في المدن والمراكز التجارية على طول الساحل الشرقي لها، واقتصر دورهم في البدايات الأولى على شراء العاج من القبائل الإفريقية التي تتاجر مع الساحل دون التوغل في الداخل. وتطور الدور العربي العُماني في وقت لاحق، فأصبحوا يشاركون في جمع العاج أو شرائه من القبائل، وتوغل العديد منهم في القارة للحصول على المزيد منه.

(2) لقد أدى السيد سعيد بن سلطان آل بوسعيد دوراً مهماً وحاسماً في تشجيع العرب العُمانيين والسواحليين على التوغل إلى الداخل الإفريقي لأهداف اقتصادية وسياسية، وقد نجح في استقطاب التجار والشركات للاتجار والاستقرار في زنجبار، التي تحولت - بفضل سياسته الاقتصادية - إلى لؤلؤة المحيط الهندي.

(3) تعد منطقة تنجانيقيا من أهم المناطق التي يستورد منها العاج، وتميز العاج الإفريقي بمواصفات جيدة، ساهمت في زيادة الطلب عليه؛ فشاركت قبائل في المنطقة في تجارة العاج، وعلى الرغم من مخاطر جلب العاج والاتجار به فإن مردوده المجزي دفع بعض المغامرين وكثيراً من التجار العرب العُمانيين والسواحليين إلى التوغل داخل القارة، وشجعهم على إقامة مراكز في البر الإفريقي لمقايضة البضائع وتخزينها، تحولت فيما بعد إلى مدن كبرى. وعانت تنجانيقيا - أكثر من غيرها - الآثار السلبية للاتجار بالعاج بسبب انتشار السلاح وقتل الفيلة مصدر العاج الرئيسي، ونجحت قبائل في منع صيد الفيلة لقوة قبائلها كالأكامبا والماساي.

(4) تطورت ثلاث طرق أساسية ورئيسية للاتجار بالعاج ربطت الساحل بداخل القارة، وأقيمت عليه محطات تجارية، وارتبطت تجارة العاج بتجارة

الرقيق وتجارة السلاح؛ مما كان له أثر سلبي على المجتمعات المحلية الإفريقية خاصة قبائل تنجانيقيا التي أضر بها قتل الفيلة.

(5) لقد كان الاندفاع وراء العاج – وليس الرقيق – سبباً أساسياً وراء توغل العرب في الداخل، كما أن العرب كانوا يتعاملون مع السكان بالتجارة وليس بالسلاح.

(6) ارتبطت تجارة العاج بتجارة الرقيق وتجارة السلاح، ونمت تجارة العاج وزاد الطلب عليها، وتزامنت الزيادة مع التشريعات البريطانية لتحريم الرق وتجارة الرقيق، وما ترتب عليه من هبوط في الأسعار وقلة في المعروض، كما تزامنت مع الدفع البريطاني لإبعاد النفوذ الاقتصادي والسياسي الفرنسي والأمريكي المنافس للنفوذ البريطاني. وأدت تجارة العاج في البر الإفريقي إلى زيادة تداول الأسلحة النارية وانتشارها في الداخل. وأحدثت تجارة السلاح آثاراً سلبية كثيرة على المجتمعات الإفريقية، ولكنها أسهمت في التمدد العربي في الداخل وانتشرت المؤثرات العربية الإسلامية.

(7) أسهم التجار الهنود في تجارة العاج عن طريق تمويل قوافل العاج، فنجحوا في أن يكونوا الممول والمستفيد من شراء العاج، وأسهمت عمليات التمويل التي قام بها الهنود في استحوازهم الكثير من الإقطاعيات الزراعية التي فشل ملاكها في سداد ما عليهم من التزامات، كما أثرى ملتزمو الجمارك من الهنود بسبب الرسوم المرتفعة التي فرضوها على السلع التي كانوا يحددونها، ومن أهمها العاج.

(8) شاركت الكثير من الشركات الأوروبية في عمليات شراء العاج وتصديره إلى خارج شرق إفريقيا؛ مما أسهم في زيادة الطلب عليه، ومن ثم ارتفاع أسعاره وتضاعفها. وأغرت الثروات الهائلة التي تحويها منطقة شرق إفريقيا – بما فيها العاج – القوى الاستعمارية؛ وهو ما أدى إلى تكالبها على شرق إفريقيا، وتسبب في الهيمنة على حكام زنجبار وفي تشديد القبضة الاستعمارية على المنطقة. وقد سعى الغرب إلى إقصاء التجار

العرب العُمانيين عن العاج، وتسبب تدهور زنجبار سياسياً واقتصادياً في التأثير على تجارة العاج العربية.

(9) لقد ترتب على التغلغل العربي في البر الإفريقي انتشار الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية بفعل الاحتكاك بين التجار العرب بشكل عام، والعُمانيين بشكل خاص، والأفارقة عن طريق التجارة والزواج والإقامة، وهذا ما نلمسه في التراث المحلي لشرق إفريقيا وتعبر عنه اللغة السواحلية المتأثرة باللغة العربية.

(10) اللافت للنظر أن آثار تجارة العاج والطلب المتزايد عليه ترتبت عليها نتائج سلبية، كادت تقضي على مصدر العاج نفسه وتتسبب في انقراض الفيلة، ولهذا لجأ الكثير من المؤسسات والمنظمات العالمية إلى إصدار اللوائح والنظم لمنع صيد الفيلة من أجل أنيابها وإلى تحريم تجارة العاج بهدف المحافظة على الفيلة في المحميات الإفريقية. وقد حققت تلك التشريعات واللوائح نجاحات محدودة، وسمحت بتنظيم محميات طبيعية تسمح للفيلة بالتكاثر.

ملحق (1)

جدول يبين أسعار العاج بحسب السنة وبالدولار

السنة	السعر بالدولار
1840	(40–29)
1841	(30–27)
1842	(31)
1844	(34–31)
1845	(40–30)
1846	(36–35)

تابع/ ملحق (1)
جدول يبين أسعار العاج بحسب السنة وبالدولار

السنة	السعر بالدولار
1848	(37–33)
1849	(37–35)
1850	(39–38)
1851	(38–33)
1852	(43–38)
1853	(45)
1857	(58–56)
1860	(54)
1864	(50)
1865	(50)
1866	(44)
1867	(80–50)
1868	(80–50)
1869	(54)
1870	(60)
1871	(62–52)
1873	(135–75)

تابع/ ملحق (1)
جدول يبين أسعار العاج بحسب السنة وبالدولار

السنة	السعر بالدولار
1874	(65)
1875	(80)
1877	(84–100)
1878	(89)
1879	(83–90)
1880	(80–111)
1883	(140)
1887	(116–141)

المصدر : Bennett, Norman, Studies in East Africa History .p88.

الهوامش والمراجع

(1)
- Sheriff, Abdul & Ferguson, E.D: Zanzibar Under Colonial Rule, London: James Currey, 1991, p15.
- Bennett, Norman: A History of the Arab State of Zanzibar London: Mathencol, 1978, p14.

أما ما يتعلق بمصادر العاج واستخداماته فهناك مصادر أخرى للعاج غير سن الفيل، ولكنها تعتبر نادرة، منها أنياب الفظ (وهو من الحيوانات الثديية البحرية تشبه الفقمة)، وأسنان فرس البحر وحوت العنبر والماموث (وهو نوع من أنواع الفيلة المنقرضة)

- Beachey, R.W: "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", Journal of African History, vol 8, no2, 1967, p. 269.

(2)
- Zanzibar Under Colonial Rule, p15.
- A History of the Arab State of Zanzibar, p14.
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p. 269.

- Sheriff, Abdul: Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, London: James Currey, 1987, p. 78.

- Slaves, Spices and Ivory in Zanzibar, p78. (3)

للمزيد من المعلومات حول مادة "عاج" يمكن الرجوع إلى الموسوعة المعرفية الشاملة وموسوعة " الجياش" ، وهي مادة متوافرة عن طريق الإنترنت.

(4) عُرفت المنطقة الممتدة من "رأس جردافون" شمالاً إلى "خليج دلجادو" جنوباً؛ أي من المنطقة التي تشمل الآن الصومال حتى موزمبيق بساحل الزنج أو زنجبار.
والمقصود بكلمة زنجبار في هذه الدراسة كل من جزيرتي بمبة وزنجبار ماعدا التحديد، وكانت سلطنة زنجبار التي حكمها آل بوسعيد قد أعلنت محمية بريطانية في نوفمبر(1890م/ 1308هـ)، ونالت استقلالها في ديسمبر (1963م/ 1383هـ) وأطاحت بها ثورة داخلية في يناير(1964م/ 1384هـ) أنهت الحكم العربي هناك. وتعد زنجبار الآن جزءاً لا يتجزأ من جمهورية تنزانيا الاتحادية.
تركي، بنيان سعود: "إلغاء الصفة القانونية للرق في سلطنة زنجبار العربية 1897 دراسة تاريخية "**حوليات كلية الآداب**، جامعة الكويت: الحولية الثالثة عشرة، الرسالة الحادية والثمانون، 1992–1993م، ص 11. تركي، بنيان سعود: "العرب وشرق إفريقية" ، **تاريخ العرب الحديث من بداية القرن السادس عشر حتى الحرب العالمية الأولى**، جامعة الكويت: مجلس النشر العلمي، 2006، ص161. قاسم، جمال زكريا: **دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا من تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان 1740–1970**، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، 2000، ص 22، 23. حراز، السيد رجب: **بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1971، ص31.

- Hatch, John: Tanzania a Profile, London: Pall Mall Press, 1972, p53.
- Slaves Spices and Ivory in Zanzibar, p12.
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p269.
- Coupland, Reginald: The Exploitation of East Africa 1856-1890, London: 1939, p5.
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p296. (5)
- A History of the Arab State of Zanzibar, p4.
- Cooper: From Slaves to Squatters, New Haven: Yale University Press, 1988, P3.
- Zanzibar Under Colonial Rule, p1.
- Martin, Bradley Esmond: Zanzibar Tradition and Revolution, London: Hamish Hamilton, 1978, p25.
- Freeman - Grenville, G.S.P: The East Africa Coast: Select Document from the First to the Earlier Nineteenth Century, Oxford: Clarendon Press, 1966, pp25-26.

قاسم، جمال زكريا: "الروابط العربية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء حركة الاستعمار الأوروبي في القرن الخامس عشر" **العلاقات العربية الإفريقية – دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977، ص8، 11. مصلحي، محيي

الدين محمد: "النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة"، **العرب في إفريقيا: الجذور التاريخية والواقع المعاصر**، القاهرة: دار الثقافة العربية، 1987، ص 197. "العرب وشرق إفريقيا"، ص 153. المغيري، سعيد بن علي: **جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار**، تحقيق: عبدالمنعم عامر، سلطنة عمان: وزارة التراث القومي، 1979، ص15، 181.

ويشير المسعودي في كتابه "مروج الذهب" إلى عمق العلاقات العربية الإفريقية وتجارة العاج، سبنسر، ترمنجهام: **الإسلام في شرق إفريقيا**، ترجمة: محمد النواوي، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1973، ص 36. "الروابط العربية قبل بدء حركة الكشوف الجغرافية، ص 22. قاسم، جمال زكريا: **الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية**، مدينة نصر: دار الفكر العربي، 1996، ص 31.

(6) - Theal, George: Records of South - Eastern Africa, London, 1899, p212. Zanzibar Tradition and Revolution, p26.

قاسم، جمال زكريا: "الاستعمار البرتغالي وأثره على العلاقات العربية الإفريقية" **العلاقات العربية الإفريقية – دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977، ص 65، 59، 83. "العرب وشرق إفريقية"، ص166.

(7) - Slaves Spices and Ivory in Zanzibar, p18, 77, 80.

- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p30.

- Krapf, Lewis: Travels, Researches and Missionary Labours during an Eighteen Years Resident in Eastern Africa, London: Trubner, 1860, p520.

- Zanzibar Tradition and Revolution, p36. Iyne, Robert: Zanzibar in Contemporary Times, London: Hurst, 1905, p5-8.

- Zanzibar Tradition and Revolution, P26, 36.

الإسلام في شرق إفريقيا، ص 13. "الاستعمار البرتغالي وأثره على العلاقات العربية الإفريقية"، ص 59.

(8) - Bennett, Norman: Leader ship in Eastern Africa Mwinyi Kheri, Boston: Boston University Press, 1968, p143.

(9) - Slaves Spices and Ivory in Zanzibar p2, 77, 104.

- Zanzibar Under Colonial Rule, p150.

- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p39.

(10) - Studies in East Africa History, p88.

للمقارنة توجد في كتاب Sheriff, Abdul قائمة تكاد تكون مقاربة لما سجله Bennett انظر: قائمة الأسعار التي أوردها شريف:

- Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p102, 254.

- A History of the Arab State of Zanzibar, p86.

وكان بعض الملوك في تعاملهم مع تجار العاج يستخدمون طريق المبادلة؛ أي سلعة مقابل سلعة، كما نجد من يبادل العاج بالماشية

- Oliver, Ronald, Fage,J.D: A Short History of Africa, London: Penguin, 1968, p178.

(11)
- Zanzibar Tradition and Revolution, p29.
- Nicholls, C.S: The Swahili Coast: Politics, Diplomacy and Trade on the east African Littoral, London: Allen&Unwin, 1971, p. 365, 370.

(12) ومن المفارقات أن قبائل Yao يبيعون العاج بحسب حجمه وليس وزنه.

- Zanzibar Under Colonial Rule, p150.
- A History of the Arab State of Zanzibar, p86.
- Alpers, E.A: Ivory and Slaves in East Africa, London: Heinemann, 1975, P234.

(13)
- The Swahili Coast: Politics, Diplomacy and Trade on the east African Littoral, p345.
- East Africa and its Invaders, p362. Zanzibar in Contemporary History, p35, 62.
- Zanzibar Under Colonial Rule, p150.

(14)
- A History of the Arab State of Zanzibar, p87-88.
- Zanzibar Tradition and Revolution, P37.

(15)
- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p142.
- Zanzibar under the Foreign Office, P7.

تركي، بنيان سعود: "الجالية الهندية في شرق إفريقيا في عهد السيد برغش بن سعيد 1870–1888"، **دراسات تاريخية**، جامعة دمشق: العدد (81)، 2003، ص 151–187. "النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة"، ص197. قاسم، جمال زكريا والعقاد، صلاح الدين: **زنجبار**، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1959، ص76. طه، جاد محمد: "دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار العربية" **العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار**، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، 1977، ص 97.

(16)
- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p38.

الإسلام في شرق إفريقيا، ص 63. A History of the Arab State of Zanzibar, p34.

للمزيد من المعلومات عن قبائل البر الإفريقي انظر:

- Ingram's, W.H: Zanzibar its History and its People, London: Frank Cass, 1967, p32. Leadership in Eastern Africa: Mwinyi Kheri, p143.

(17)
- Burton. R.: Zanzibar, City Island and the Coas, vol 1, London: Tinsley, 1872, p307.
- East Africa and its Invaders, p307.
- Zanzibar, The Island Metropolis of East Africa, p113, 128.
- Zanzibar in Contemporary Times, p80.

زنجبار، ص 79. "دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار"، ص100. الأصول

التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 217. **دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا من تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عمان 1740–1970**، ص 196.

(18) "العرب وشرق إفريقية"، ص173. **دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا من تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان 1740–1970**، ص 194.

(19) زنجبار وجوارها الإفريقي، ص 118.

(20)
- Zanzibar its History and its People, p162.
- Tanzania a Profile, p58.
- Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p3.
- Coupland, Reginald: The Exploitation of East Africa 1856-1890, London: Faber, 1939, p5.
- Ommanney, F. D: Isle of Cloves. London: Longman, 1955, p59.
- Zanzibar Tradition and Revolution, p29.
- Colomb, P. H: Slave catching in the Indian Ocean, London: Longman, 1873, p365.
- Zanzibar under the Foreign Office, P6.

"دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار العربية "، ص 99. الإسلام في شرق إفريقيا، ص 36.

(21) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص 176.

(22)
- Tanzania a Profile, p53.
- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p32.
- Zanzibar Tradition and Revolution, p28.
- Gray, John: History of Zanzibar from the Middle Ages to 1856. London: Oxford University Press, 1962, p45.
- Slaves Spices and Ivory in Zanzibar, p83.
- Zanzibar in Contemporary Times, p6.

"دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار العربية "، ص 98. قاسم، **زنجبار**، ص 73. تركي، بنيان سعود: "الجالية الهندية في شرق إفريقيا بين هامرتون والسيد سعيد 183–1856" **المؤرخ المصري**، جامعة القاهرة: العدد (13)، 1994، ص 11–58. تركي، بنيان سعود: **زنجبار وجوارها الإفريقي، الطبعة الأولى**، الكويت: 2010، ص117. حراز، السيد رجب: **بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال**، القاهرة: ص31.

(23)
- Bennett, Norman: "The Arab Impact" in Zamani, A Survey of East Africa History. London: Longman, 1974, p.210.
- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p4.

الإسلام في شرق إفريقيا، ص 95.

(24)
- "The Arab Impact", p214.

- "The Arab Impact", p215. (25)

- A Short History of Africa, p182. (26)

"النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة" ، ص 199 .

- Pakenham, Thomas: The Scramble for Africa, London: Avon Book, 1895, p72, 123. (27)

- A Short History of Africa, p180.

- A History of the Arab State of Zanzibar, p14, 105. (28)

- Studies in East Africa History, p88. (29)

- Leadership in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p77, 141. (30)

- "The Arab Impact", p221.

- "The Arab Impact", p221. (31)

- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p151.

- The East African Ivory Trade in the nineteenth century, p282. (32)

- "The Arab Impact", p216, 221.

- "The Arab Impact", p210. (33)

- Colomb, R. N: Slave Catching in the Indian Ocean, London, 1873, p365.

- Slade, Ruth: King leopolds Congo, London, 1962, p84.

- The Exploitation of East Africa, p9.

الإسلام في شرق إفريقيا، ص60 . "الروابط العربية قبل حركة الكشوف الجغرافية" ، ص15 . الصلات التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 222 . الجمل، شوقي: **تاريخ كشف القارة الإفريقية واستعمارها**، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، 1971، ص 69 . زنجبار، ص 77 . بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ص 32 .

- Alpers, Edward: "The Nineteenth Century: Prelude to Colonialism", Zamani, A Survey of East Africa History, London: Longman, 1974, p229. (34)

- The Arab Impact, p214.

- Berg. F. J: "The Coast from the Portuguese Invasion to the rise of the Zanzibar Sultanate", Zamani, Asurvey of East Africa History, London: Long man, 1974, p132.

- Tanzania a Profile, p56. Oliver, Ronald, Fage, J. D.: A Short History of Africa, London: Penguin, 1979, p176.

- A History of the Arab State of Zanzibar, p34. (35)

- Fraser, H. A.: East African Slave Trade, London, 1871, p55. Pakenham, Thomas: The Scramble for Africa, London: Avon Book, 1895, p283.

- "The Arab Impact", p210. Short History of Africa, p176.

- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p142.

- King Leopold's Congo, p84.

وقد تردد العرب على مملكة بوغندا، ولكن الملك منع عرب الساحل من المرور عبر مملكته.

"دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار"، ص 9. الإسلام في شرق إفريقيا، ص 60.
زنجبار، ص 77. بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ص 32.
كانت القوافل العربية تتحاشى المرور عبر أراضي الماساي. وقد عُرف عن الماساي أنهم من القبائل المحاربة، وتفرض رسوماً على المرور عبر أراضيها.

- Tanzania a Profile, p59.
- "The Arab Impact", p210.
- Through Masailand, p27.

(36) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص225.
الإسلام في شرق إفريقيا، ص 70، 125.

- Tanzania a Profile, p56.
- East African Slave Trade, p63.
- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p89.

(37) تعتبر منطقة أوجيجي نقطة الانطلاق للقوافل تجاه بحيرة تنجانيقيا، ومن أشهر الشخصيات العربية التي تعاملت مع المنطقة التاجر الرحالة العربي المشهور سعيد بن حبيب. وقد عُرف عن حبيب تعامله بتجارة العاج خلال الأربعينيات من القرن الثامن عشر الميلادي.
جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص217–226.

- Leadership in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p146.
- Burton. R.: Lake Region of Central Africa, London, 1860, p16, 78, 324.
- Zanzibar Tradition and Revolution, p36.
- The Exploitation of East Africa, 1856-1890, p5.
- A History of the Arab State of Zanzibar, p35.

"دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار"، ص99. بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار إلى الاستقلال، ص 32. الإسلام في شرق إفريقيا، ص 61. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص 225.

(38)
- Isle of Cloves, p60.
- Zanzibar, The Island Metropolis of East Africa, p113, 122, 128.

(39)
- The Exploitation of East Africa, 1856-1890, p4-5.
- A History of the Arab State of Zanzibar, p35, 52.

(40)
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", P275.
- A Short History of Africa, p177.

(41)
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p275.
- Tanzania a Profile, p59.
- A Short History of Africa, p179. Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p113.

(42) - Philips, Wendel: Oman AHistory, London: 1967, p89.

- Slave Catching in the Indian Ocean, p41.

بريطانيا والخليج 1795–1870، ص 5.

دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا منذ تأسيسها وحتى نهاية حكمها في زنجبار وبداية عهدها الجديد في عُمان 1741–1970، ص 275.

زنجبار، ص 64. الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص 193–213.

(43) - A Short History of Africa, p176.

- Leader ship in Eastern Africa,Mwinyi Kheri, p142.

- Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p4.

(44) اعتبرت منطقتا مينييما Manyema ويورا Urua أسفل بحيرة تنجانيقيا منجماً من العاج، وشبه الاندفاع تجاههما بحمى الذهب في كاليفورنيا، وكانت الحصيلة من المنطقة ما قيمته 35 ألف جنيه إسترليني (1871).

- Leadership in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p150.

(45) - "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p275, 276.

- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p104.

(46) - Zanzibar Tradition and Revolution, p30.

- A History of the Arab State of Zanzibar, p85.

- East African Slave Trade, p63.

انظر: ما ذكره المغيري عن الرحالة لفنجستون وبرتون وسبيك في كشف إفريقيا وانضمامهم إلى القوافل العربية وتجارة العاج. جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص 215–216.

(47) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص 218.

(48) - Slaves Spices and Ivory in Zanzibar, p108.

جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص222.

ولد المرجبي في تابورا، وبدأ نشاطه وهو في سن 18 من العمر برحلته إلى أوغانغي شمال شرق بحيرة نياسا. انظر:

دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، ص296.

رزق، يواقيم: "الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكنغو"، **العلاقات العربية الإفريقية – دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار**، معهد البحوث والدراسات العربية: 1977، ص175–223.

زيدان، جورجي: **تراجم مشاهير الشرق**، ج1، بيروت: دار مكتبة الحياة، ص 168.

- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p67.

لمعرفة أسماء أشهر التجار العرب انظر:

- The Arab Impact, p213.

- The Lake Regions of Central Africa, p323-329.
- Alpers, E. A: Ivory and Slaves in East Africa, London: Heinemann, 1975, p131.
- March, Zoe and Kingsworth, G: An Introduction to the History of East Africa, Cambridge University Press, 1966, p133.
- Zanzibar its History and its People, p168.
- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p141.

وصف بكنهام حميد بن محمد المرجبي بأنه ملك العرب غير المتوج في وسط إفريقيا

- The Scramble for Africa, p318.

- Zanzibar in Contemporary History, p175. (49)
- Zanzibar its History and its People, p168.

- Zanzibar in Contemporary History, p176. (50)
- Zanzibar its History and its People, p168. A History of the Arab State of Zanzibar, p120.

(51) دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، ص295.

- Zanzibar its History and its People, p169. (52)
- A History of the Arab State of Zanzibar, p120.
- King Leopold's Congo, p98-99.

جهينة الأخبار، ص217–226.

- Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p3. Isle of Cloves, p59. (53)
- Zanzibar Tradition and Revolution, p32. Princes of Zinj, p84.
- Zanzibar its History and its People, p168.

- A Short History of Africa, p179. Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p234. (54)
- Isle of Cloves, p60.
- Zanzibar Tradition and Revolution, p32.
- Slave Catching in the Indian Ocean, p396.
- Wilson, Arnold: The Persian Gulf, London: 1954, p215.
- Turki, Benyan Saud: Slavery Profession and Crafts in East Africa.Paper accepted for publication. Pakenham, Thomas: The Scramble for Africa, London: Avon Book, 1895, p282. Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p87.

- Tanzania a Profile, p54. (55)
- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p3. The Swahili Coast: Politics, Diplomacy and Trade on the east African Littoral, p77. Zanzibar under the Foreign Office, P7. Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p32, 42.

- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p3, 108. (56)
- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p42. Zanzibar Under Colonial Rule, p4.

وللمزيد من المعلومات عن الهنود في شرق إفريقيا يمكن الرجوع إلى:
"الجالية الهندية في شرق إفريقيا بين هامرتون والسيد سعيد 1832–1856"، ص11–58.

"الجالية الهندية في عهد السيد برغش بن سعيد 1870-1888"، ص151-187. زنجبار وجوارها الإفريقي، ص111.

- Tanzania a Profile, p63. (57)
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p277.
- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p32, 42.
- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p87.
- Slaves Spices & Ivory in Zanzibar, p3, 108. (58)
- Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p104.
- Zanzibar under the Foreign Office, p7.
- Zanzibar its History and its People, p35.
- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p150. (59)
- A History of the Arab State of Zanzibar, p86, 87.
- A Short History of Africa, p176. (60)

"النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة"، ص198.

- "The Arab Impact", p222. (61)
- Tanzania a Profile, p59.

(62) جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص 218.

- "The Arab Impact", p210, 222. Tanzania a Profile, p58. (63)
- A Short History of Africa, p177.

(64) الإسلام في شرق إفريقيا، ص 70، 125.

- "The Arab" Impact, p210.
- Tanzania a Profile, p59. Through Masai land, p27.
- "The Arab Impact", p222. (65)
- A Short History of Africa, p176.
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p280. (66)

"النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة"، ص 198-199.

- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p77, 141. (67)
- A Short History of Africa, P177. (68)
- Leader ship in Eastern Africa, Mwinyi Kheri, p154.
- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p283. (69)

- "The Arab Impact", p222. A Short History of Africa, p176. Plantation Slavery on the East Coast of Africa, p41.

الإسلام في شرق إفريقيا، ص 63. دولة البوسعيد في عُمان وشرق إفريقيا، ص 294. صغيرون، إبراهيم الزين: **دور عُمان السياسي والاقتصادي والاجتماعي في شرق وأواسط إفريقيا في العهد البوسعيدي**، القاهرة، 1993، ص39.

- "The East African Ivory Trade in the nineteenth century", p277. (70)
- Zanzibar under the Foreign Office, P6. Zanzibar Under Colonial Rule, p16.
- Slaves Spices &Ivory in Zanzibar, p92. Zanzibar Under Colonial Rule, P150. (71)
- East Africa and its Invaders, p16.
- A History of the Arab State of Zanzibar, p87. Zanzibar Tradition and Revolution, P29. (72)
- Isle of Cloves, p70. (73)
- Zanzibar its History and its People, p172.

تركي، بنيان سعود: "السيد خليفة بن سعيد البوسعيدي سلطان زنجبار 1888–1890". **مجلة كلية الآداب**، جامعة الإسكندرية: الإصدارة الثانية، 2003.

- Zanzibar its History and its People, p172. Isle of Cloves, p70. (74)
- Turki, Benyan. "The Sultan of the Arab State of Zanzibar and the Regent, 1902-1905, "Bulletin of the Documentation and Humanities Research Centre" Qatar University: vol. 9, 1997, p1.

زنجبار وجوارها الإفريقي، ص223. تركي، بنيان سعود: "بريطانيا والسيد علي بن سعيد سلطان زنجبار 1890–1893": وقائع تاريخية، جامعة القاهرة: **مركز البحوث والدراسات التاريخية**: العدد، يناير2006. تركي، بنيان سعود: "حمد بن ثويني 1893–1896"، **مجلة التاريخ والمستقبل**، جامعة المنيا: العدد، 2007، ص 375.

❊ ❊ ❊